رأي القدس

اولمرت لن يعمر طويلاً

■ بعد فشل القوات الاسرائيلية في تحقيق اي تقدم حقيقي في جبهات القتال في جنوب لبنان، من الطبيعي ان تتراجع شعبية كل من ايهود اولمرت رئيس الوزراء وعمير بيرتس وزير الدفاع، لان الرجلين يعيشان حالة من التخبط، وتورطا في حرب من الصعب الخروج منها بأي انتصار.

تحالف اولمرت ـ بيرتس هو تحالف انتهازي بالدرجة الاولى، يتسم بالخبث، وتزوير الحقائق، والادعاء بالصقورية، والمزايدة على الجنرالات، طمعاً في الاستمرار في السلطة لاطول فترة ممكنة، ولكن الوقائع على الارض في جبهة لبنان ستؤدي حتماً الى خروجهما من السلطة بشكل سريع، بل اسرع مما يتوقعه الكثيرون.

لبنان كان دائماً مقبرة للسياسيين الاسرائيليين، وكان اول من حلت عليه لعنته هو ارييل شارون رئيس الوزراء السابق الذي اتخذ قرار احتلال بيروت عام 1982، وانتهى مطروداً ومدانا بتهم الارهاب ومجازر صبرا وشاتيلا.

مناحيم بيغن خسر كل سمعته وتاريخه الصهيوني لانه استمع الى شارون وأقر خطة الغزو هذه، فانتهى في مصحة نفسية مصاباً باكتئاب مزمن، لم يخرج منها، اي المصحة الا الى القبر.

ايهود اولمرت، مثل وزير دفاعه بيرتس، قدم نفسه للعالم على انه رجل سلام، يريد الانسحاب من طرف واحد من اراضي الضفة الغربية، وازالة المستوطنات «غير الشرعية»، وها هو ينقلب الى سفاح بعد اشهر معدودة من فوزه في الانتخابات، ويدمر بلداً ديمقراطياً ويرتكب المجزرة تلو الاخرى.

بيرتس وصل الى زعامة حزب العمل كرجل سلام، ويساري متطرف، يغير الاحزاب والمواقف حسب مصالحه الانتهازية. فهذا الرجل الذي يرسل الدبابات والصواريخ لقتل المئات من الابرياء في قطاع غزة والضفة الغربية ولبنان، قدم نفسه الى الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات على انه صديق للشعب الفلسطيني يؤمن بالتعايش واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة. وذهب الى ما هو ابعد من ذلك عندما طلب من مضيفه الفلسطيني ان يتجول وحيداً في شوارع غزة، ويجلس على المقاهي يتجاذب الحديث مع المواطنين العاديين، حتى يتعرف عليهم عن قرب، ويحس بمشاعرهم.

بيرتس هذا قال ان حلمه كان ان يبني ملعباً لكرة القدم بين قطاع غزة ومستوطنة سدروت، لكي يستضيف مباراة بين اطفال فلسطين الفقراء من بيت حانون، واطفال مستوطنة سدروت كدليل على حدوث السلام والتعايش، بيرتس هو الذي اتخذ قرار تدمير بيت حانون، وقتل العشرات من اطفالها وذويهم.

بعد شهر من وعود بيرتس ورئيسه اولمرت بتدمير حزب الله، واحتلال جنوب لبنان، واقامة منطقة آمنة، ما زال الحزب قوياً يحقق معجزات على الارض، ويلحق بالاسرائيليين خسائر كبيرة مادياً ومعنوياً.

فبضعة آلاف من المقاومين نجحوا في تحطيم اسطورة رابع جيش في العالم. ولم يعد احد يتحدث في الدولة العبرية عن ازالة حزب الله من الخريطة اللبنانية، وباتت الآمال الآن متواضعة كثيراً في هذا الخصوص، ابرزها محاولة اضعاف قدراته العسكرية.

حزب الله لم يضعف، بل معنويات الجيش الاسرائيلي وقدرته على الردع هما اللتان ضعفتا، وهذا اكبر ضربة معنوية للجيش الاسرائيلي، سيدفع ثمنها حتماً الثنائي اولمرت ـ بيرتس، وبمجرد ان تهدأ غبار الحرب الحالية في لبنان.

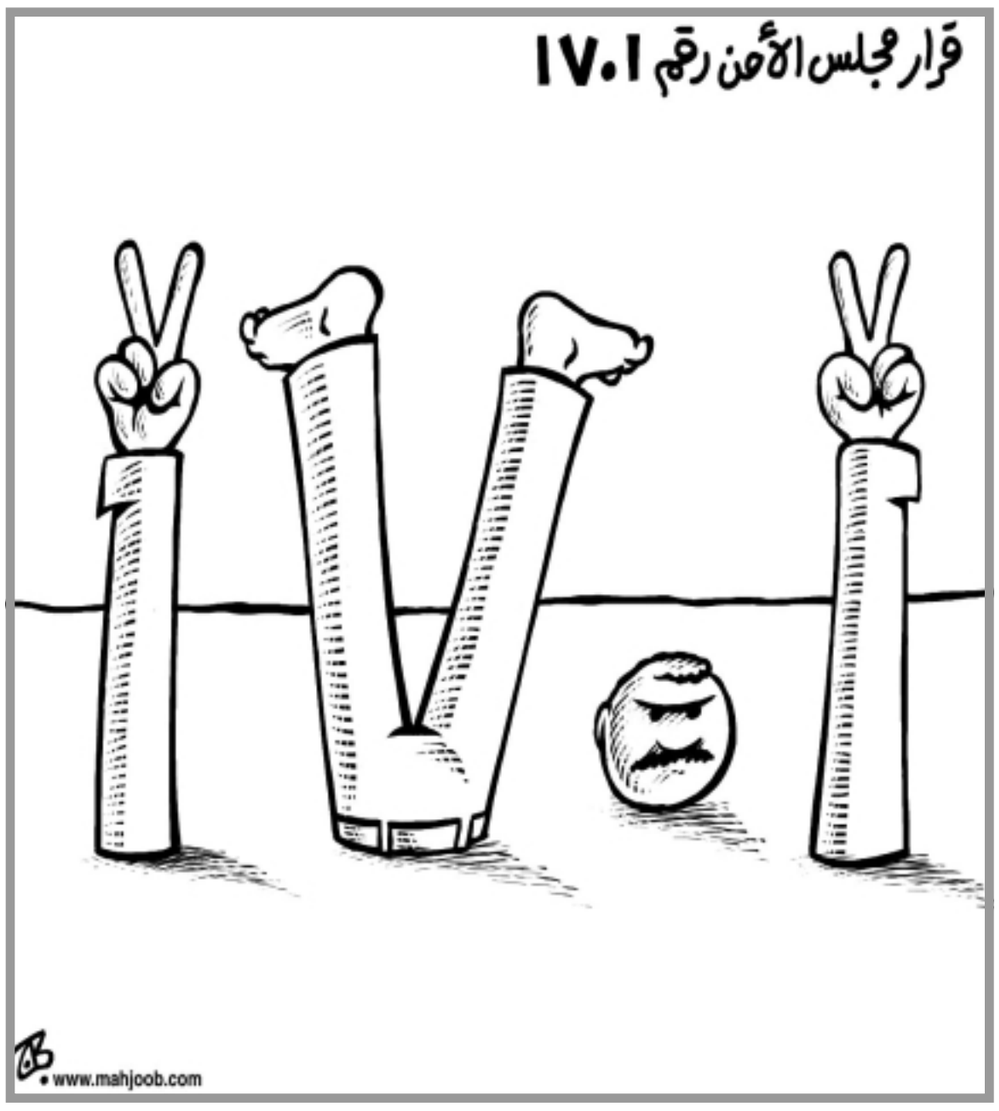

العدوان على فلسطين ولبنان وخرافة العجز العربي!

طاهر حمدي كنعان *

■ تهيمن الولايات المتحدة الأمريكية على مقدرات العالم هيمنة وحدانية كما لم تفعل امبراطورية في التاريخ. يمكّنها من ذلك تفوقها العسكري ووزنها الاقتصادي في الاقتصاد العالمي. وهي، بخلاف بعض الامبراطوريات التاريخية، كالامبراطورية الرومانية مثلا، التي عززت هيبتها الكونية بالالتزام برسالة حضارية وبمعايير أخلاقية وقانونية بل أسست لعلم الحقوق الذي اشتهر «بالفقه الروماني»، على النقيض من ذلك، تمارس الولايات المتحدة غطرسة القوة بعري كامل عن أي قيم أخلاقية أو احترام جدي للقانون الدولي، بل تمتاز بأنها ابتكرت منظومة كاملة للمعايير المزدوجة في الحقوق والواجبات السياسية، ومنظومة أخرى في المعاني المزدوجة للمصطلحات السياسية مثل «الإرهاب» و«الديمقراطية» إلخ.. وهي أشبه في ذلك العري الأخلاقي بامبراطوريات المغول الهمجية زمن هولاكو وجنكيز خان.

ولا جدال في أن التفوق العسكري الأمريكي غير قابل للتحدي في الوقت الحاضر من قبل أي قوة أخرى في هذا العالم. لكن العنصر الاقتصادي في القوة الأمريكية ليس مطلقاً وليس بدون ثغرات، كما سنبين لاحقاً.

وفي تعاملها مع الشعوب العربية تقوم الامبراطورية الأمريكية بإسقاط قوتها عليهم من خلال الدعم غير المشروط وغير المحدود للاغتصاب والاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية في فلسطين وسورية. ويتجذر هذا الدعم الأمريكي لإسرائيل في الوعي العربي بمقولة أن 99 % من أوراق اللعبة هي في يد أمريكا، وأن لا جدوى من محاولة التصدي للاحتلال والعدوان الإسرائيلي ما دامت أمريكا ترعى ذلك الاحتلال وهذا العدوان.

ويشكل الموقف الرسمي العربي من الدعم الأمريكي المطلق لإرهاب الدولة الذي تمارسه إسرائيل حالياً في فلسطين ولبنان آخر الأمثولات لما استقر في وعي الأنظمة العربية من الشعور بالعجز تجاه إسرائيل المدعومة من أمريكا. ويصل هذا التخاذل ذروته بلوم الضحية بدعوى إتاحتها العذر للوحش الكاسر لارتكاب جرائمه، بينما الثابت أن هذا الوحش بالذات لم يعدم يوماً الوسيلة لخلق أو اختلاق الأعذار لعدوانه الذي سبق تصميمه.

الراهن أن المقاومة اللبنانية تتصدى ببطولة للعدوان، وتقف الأنظمة العربية وقد حكمت على نفسها بالذلّة والمسكنة تجاه مشاهد العدوان متذرعة بالعجز المطلق ما دام الأمر موضوع تصدي للامبراطورية الأمريكية.

إن هذا الشعور بالعجز التام لا يعدو كونه كذلك، أي مجرد «شعور» بالعجز. أما العجز الفعلي فهو غير موجود إلا في وعي حامل الشعور المذكور. نعم، إن التصدي عسكرياً لأمريكا في ظروف العالم الحالية هو ضرب من الانتحار. لكن العنصر الاقتصادي في القوة الأمريكية ليس بدون ثغرات. وأمريكا تدرك هذه الثغرات، وهذا الادراك هو ما دفعها إلى حرب العراق والسعي إلى وضع نفط الشرق الأوسط تحت سيطرتها المباشرة. لكن ما دامت هذه السيطرة غير مباشرة وغير مكتملة، فإنه ما زال هناك أمام الإرادة العربية الكامنة هامش للحركة المؤثرة، وكل ما يحتاج إليه الأمر هو وقفة عزّ من طبيعة الوقفة التي قام بها المغفور له الملك فيصل في 1973.

ونحن، لأكثر من سبب، لا نطمع في تكرار الإجراء التاريخي في وقف تصدير النفط. لذلك نقترح إجراء آخر يعاقب دولة البغي والاستكبار، وفي الوقت ذاته يشجّع الدول الأوروبية وغيرها ممن يرهبون أمريكا أو يرغبون فيها، على الانفكاك من تلك الرهبة أو الرغبة التي تدعم البغي الأمريكي، وعلى العودة إلى صراط الحق والعدل.

الإجراء المقترح يتعلق بواقع العجز الذي يعاني منه الاقتصاد الأمريكي وخاصة العجز في ميزان المدفوعات الجاري، وفي ميزان التجارة الخارجية للسلع والخدمات، وفي الموازنة المالية العامة. لقد بلغ عجز الموازنة العامة للولايات المتحدة في العام المنصرم (2005) أكثر من (320) مليار دولار، كما يتوقع صندوق النقد الدولي أن يبلغ عجز التجارة الخارجية وعجز ميزان المدفوعات الجاري في العام الحالي (2006) حوالي (786) مليار دولار و (864) مليار دولار على التوالي. إن قسطاً كبيراً من هذا العجز يمولّ من الفوائض المالية للدول المصدرة للبترول من خلال شراء هذه الدول لأوراق الدين الأمريكية ومن خلال استثمار المدخرات الحكومية والخاصة لتلك الدول في أسواق المال الأمريكية. لكن الجزء الأكبر من عجز ميزان المدفوعات الأمريكي يمولّ من خلال تعامل سائر العالم مع الدولار بصفته عملة الاحتياطيات الدولية، أي العملة التي تودع بها مدخرات الدول والشركات والأفراد. وبالتالي تصبح كل دولة وكل شركة وكل فرد يحتفظ بمدخراته بالدولار هو دائن افتراضي يشارك في تمويل العجز المالي الأمريكي. بخلاف ذلك فإن ذلك العجز لا يمكن أن يعالج إلا بهبوط سعر صرف الدولار إلى المستوى الذي يتطلبه تمويل العجز بعوائد حقيقية من الصادرات الأمريكية الفعلية للسلع والخدمات. وجدير بالذكر أن حجم الفوائض المالية في دول المشرق العربي وإيران المتوقعة لعام 2006، وقبل الارتفاع الأخير الناتج عن العدوان على لبنان، يبلغ حوالي (241) مليار دولار أو ما يكفي لتغطية 31 % من العجز التجاري الأمريكي بمجرد احتفاظ الدول المالكة بهذا الفائض في صورة ودائع بالدولار! هذا بخلاف قيمة مساهمة تلك الدول في شراء الصادرات الأمريكية والتي بلغت عام 2004 ما قيمته أكثر من 25 مليار دولار، أي ما يعادل 4 % من العجز التجاري الأمريكي لتلك السنة.

إزاء تلك الحقائق الاقتصادية، فإن الإجراء المقترح للضغط الاقتصادي على الولايات المتحدة الأمريكية، ومساعدة الدول الأوروبية وغيرها على الانفكاك من قيود التبعية لأمريكا، هو قيام الدول العربية المصدرة للنفط بفرض واقع اقتصادي جديد هو إقرار اليورو، وأية عملات أخرى غير الدولار، كعملات معتمدة لتسعير النفط وشرائه، وكذلك اعتماد اليورو أو أي عملة أو سلة من العملات يتفق عليها لكي تصبح هي العملة التي تحفظ بها ودائع واحتياطيات الدول العربية سواء منها الدول العربية المصدرة للنفط أو غيرها. وقد يستكمل هذا الإجراء على المستوى العالمي بالسعي لتنفيذ ما أوصت به جهود إصلاح النظام النقدي العالمي منذ عقود في إطار الأمم المتحدة. وهو استبدال «حقوق السحب الخاصة» SDR (وهي بمثابة سلة عملات دولية) لتحلّ محل الدولار كعملة الاحتياط النقدي الدولية.

أملنا أن تقوم الدول العربية بالوفاء باستحقاقات معاهدة الدفاع العربي المشترك على الأقل في بعدها الاقتصادي بما في ذلك الإجراء المقترح أعلاه وكذلك بأية إجراءات مماثلة أخرى تجاه المصالح الاقتصادية لأمريكا في العالم العربي، وأن تساندها في ذلك الشعوب العربية والصديقة من خلال الشركات والمؤسسات والأفراد من أصحاب المدخرات والودائع.

* عضو مجلس أمناء مركز دراسات الوحدة العربية

لبنان: ولكن... هل هي الحرب الأخيرة حقاً؟

مطاع صفدي *

■ إنها المواجهة الأوضح والأعنف لأمريكا مع العرب بأداة جيشها الإسرائيلي. لقد أمسى مشروعها الأكبر في الاستيلاء الشامل على (الشرق الأوسط) يعاني من الاستعصاء البنيوي ليس في قابليته للحياة، إنما كذلك في قدرته على سلب هذه الحياة من عدوه. لم يتبقَ لمخططي المشروع سوى الإقرار بالهزيمة المزدوجة، وهي خسارة المشروع سلماً أو حرباً. ومن هنا هذا الطيش الجنوني في القتل المجاني المرخص لإسرائيل، ومعه ويرافقه هذا الارتباك الآخر على الصعيد السياسي والدبلوماسي ما بين واشنطن وتل أبيب، وانعكاساته المتناقضة على سير المناقشات الدولية في أروقة مجلس الأمن، بحيث لا يولد إتفاق ما حتى يلغيه اختلاف يعقبه. بقدر ما صار كل الأطراف يحتاج إلى هدنة ما، بقدر ما يعجز الجميع عن اكتشاف المخرج من عقباتها المستجدة والإعداد لما سيعقبها من إشكالات في التنفيذ والتطبيق.

لعل السبب الرئيسي في ذلك أنه ربما كانت هذه الحرب هي الوحيدة في نوعها التي يراد لها أن تأتي نتائجها السياسية مناقضة لحقائقها المسجلة في ساحة الميدان. فما تحاوله دبلوماسية الغطرسة الأمريكية في نيويورك هو إجبار لبنان بكل ثمن على القبول بنقل القتال مع العدو على حدوده، إلى الاقتتال ما بين مكوناته داخل وطنه الصغير. أي أنه مقابل سلم خبيث تمنّ به إسرائيل على البلد المدمر في بناء التحتية والعمرانية عليه أن يتابع بإرادته تدميره لبناه الاجتماعية والانسانية.

أمريكا التي غدا أقصى اختصاصها الحضاري هو تقويض حضارات الآخرين، فإنها لا تكاد تنتهي من الغزو العسكري الإعدامي لهذا البلد الإسلامي والعربي أو ذاك، من أفغانستان إلى العراق، حتى تتبعه بأخطر أشكال التدمير الذاتي، بتوليد أسبابه المصطنعة؛ فالهم الأهم بالنسبة لها هو ألا تتوقف آلة الموت أبداً. فما أن تنفتح أبواب جهنمها لمرة حتى لا يمكن إقفالها، ولو أحرقت زبانيتها أنفسهم. تلك هي أحداث استراتيجية (ما بعد حداثية؟) لتعميم ثقافة القتل المجاني، باعتبارها أضحت هي التركيب الأعلى لفاشيات القرن العشرين التي أنهكت الغرب بعشرات الملايين من قتلى حروبه العالمية. وها هي يتم تحويلها أمريكياً اليوم ضد بقية العالم، ومن قارته العربية والإسلامية مبدئياً، تحت شعار تعميم الديمقراطية بأداة نقيضتها التاريخية المطلقة: الإمبراطورية.

ما حدث أخيراً في مجلس الأمن ليس مجرد إعلان لوقف (الأعمال الحربية) فحسب. إنه أول إعلان دولي من شأنه أن يكرس بطلان المبدأ اللاأخلاقي الذي تقوم عليه الاستراتيجية الأمريكية نفسها بعد أن جعلت من العدوان على الشعوب هو البديل عن شرعة الأمم المتحدة والقانون الدولي والأعراف الأخلاقية الناظمة لسلوك المجتمعات إزاء بعضها. فهي التي تضطر إلى الموافقة أخيراً على وقف الحرب التي خططت لها وأوكلتها إلى شريكتها وربيبتها إسرائيل. لكن هذه الشريكة لم تحسن التنفيذ وسقطت في أسوأ تجربة مهينة واجهت جيشها الذي لا يقهر، وليس مقابل جيش نظامي آخر، بل في وجه مقاومة شعبية مسلحة بالإيمان والوعي أولاً وبالإضافة إلى حرفية مبتكرة في المنازلة غير المتكافئة أصلاً.

ومع ذلك تكشف المقاومة عن بعض الخزين الهائل من قدرات الأمة المحجوزة والممنوعة من الإنطلاق والتعبير المختلف عن حقيقتها.

لا يوصي قرار المجلس وبعد مخاضه العسير الطويل، بإنهاء الحرب فوراً، بل يكاد يضع نوعاً من خارطة طريق مشابهة لتلك التي سبقتها والمعلنة بشأن إنهاء النزاع الفلسطيني الإسرائيلي، والتي لا تزال تحث خطاها منذ سنوات نحو التنفيذ، وتعبر خلال ذلك بكل الحروب الصغيرة والفواجع والمناورات الصهيونية المدعومة دائماً بالحاضنة الأمريكية. فالجيش الإسرائيلي مزمع على الوصول إلى نهر الليطاني بأي ثمن، وتحت مظلة هذا القرار الدولي (السلمي) الذي يكاد يولد ميتاً من لحظاته الأولى. فما الحاجة حقاً لكل هذا العناء الدبلوماسي لإصدار قرار محكوم عليه أن ينقل كل ما هو خطير وعاجل إلى ما هو آجل، ومقذوف به إلى متاهات المناورات المصحوبة دائماً بأشكال العنف العسكري الهمجي وأشباهه.

ليست هي الحرب الأخيرة إذن. وإذا كانت أهداف العدوان لم يحققها دمار لبنان حتى الآن، ففي جعبة الجلادين ما لا يحد من الخطط الإلتفافية. هذا فضلاً عن كون حيثيات القرار نفسه لا تنصّ على الحسم الواضح في أي من فقراته. والقرار متروك جملةً وتفصيلاً لصدف المجهول مما سيقع اليوم أو غداً من المفاجآت التي لن تكون هي كذلك إلا لمن لا يتوقعها أو لم يحسب لها حساباً.

ومع ذلك قد يمكن القول إنها الحرب الأخيرة بحسب قراءات أخرى تلتفت إلى البعض من رموز الدلالات المستجدة على المألوف من تقاليد الصراع العربي الصهيوني. ربما هي الأخيرة بالنسبة لمسلسل الحروب ما بين الجيوش المنتهية غالباً إلى اندحار الجانب العربي منها بخاصة. وهي الحرب الأولى في مسلسل جديد، ربما سيتبعها ويطوّر من خواصها. الأولى من حيث أن الجيش الإسرائيلي يقاتل فيها مقاومة، ليست فلسطينية، بل عربية. أي أن إسرائيل بعد أن ترسخ لديها الاعتقاد بكونها هزمت العرب بإخراج جيوشها من الميدان نهائياً، لا يبدو أنها أعدت نفسها لمنازلة الشعوب ومن الآن فصاعداً. هذا في الوقت الذي تسعى فيه أمريكا إلى تجنب هذا النوع من المنازلة بما تظن أن مشروعها الشرق الأوسطي سيكون متكفلاً بالتحوّط ضده، وذلك بافتعال كل الوسائل المؤدية إلى إعادة تركيب الجغرافية البشرية للمجتمعات العربية والإسلامية من حولها، وعدم الإكتفاء بجغرافية التقسيم والتفتيت السياسي القابضة على الكيان القومي والتاريخي منذ انهيار الإمبراطورية العثمانية. إذ لم يعد هذا الماضي التقسيمي كافياً لدرء احتمالات الحاضر والمستقبل القريب. لقد استنفد معظم أغراضه المرسومة له. وأهمها إحباط المشروع النهضوي العربي طيلة القرن الماضي، وفي ظل حربين عالميتين، ومن ثم مع زرع عش للحروب الإقليمية الدائمة اسمه الكيان الإسرائيلي في قلب الوطن العربي.

هكذا على الأقل يمكن اعتبار هذه الحرب بمثابة المفاجأة السعيدة بالنسبة لابطالها، والصدمة القاسية بالنسبة لأصحابها ومفتعليها. لكنها في حد ذاتها تؤلف حلقة انعطاف ليس في مسلسل الصراع العربي الإسرائيلي والأمريكي وحده، لكن في تاريخية النهضة العربية نفسها المصابة بعقد الهزائم العسكرية المتراكمة. وقد تذهب بنا التطلعات المصيرية إلى حد الاعتقاد بأننا بتنا نشهد انبثاق نموذج الدولة العربية المقاومة، ولا ننتظره أو نحلم به فحسب، ولبنان الذي كان حقل التجارب المأساوية، بل المصيرية لذاته ولأشقائه من حوله، يصير اليوم مرشحاً لاستيلاد تجربته العظمى والرائدة تحت صيغة الدولة المقاومة، شعباً حراً وكياناً سياسياً وحضارياً قادراً على حماية نفسه، والإشعاع بثقافة هذه الحماية على عالمه العربي المريض من حوله.

لبنان جوهرة النهضة العربية كان المبدع الأول في ثقافة السلام، وقد أضحى كذلك في ثقافة الحرب. ولسوف يغدو هو المثال الأوضح كذلك عن مزاوجة الثقافتين معاً من خلال نموذج الدولة المقاومة، التي أمسى يتملك من أثمن عناصرها بدءاً من الشعب المقاوم فعلاً وواقعاً ووراءه مجتمع الوحدة الوطنية الذي كان هو الرهان الأصعب في مختلف منعطفات تاريخه المعاصر. ولسوف يظل هو التعبير الأمثل عما تعنيه هدية المقاومة لشعبها. إنه النصر الأصيل الذي لن يخيف أحداً إلا أعداءه الظاهرين والمتوارين وراء خيباتهم وبؤس رهاناتهم.

* مفكر عربي مقيم في باريس

المئذنة والقصر: مسمار أخير في نعش سعودي متصدع

د. مضاوي الرشيد *

■ كانت فتوى عميد الوهابية عبد الله ابن جبرين والتي حرمت مناصرة شيعة لبنان وحزب الله لانهم خارجون عن الاسلام حسب رأيه بمثابة المسمار الاخير الذي سيعتبر الحلف الشيطاني بين مئذنة السلفية السلطانية والقصر السعودي. هذه الفتوى هي صرخة الفريق الاخيرة قبل ان تجرفه امواج البحر العربي القادم والذي سيفتح مرحلة جديدة في تاريخ المنطقة تسقط فيها فصول التشدد السعودي الوهابي وتبقى فصول المقاومة بعناوينها الكبيرة.

اثبتت مئذنة بعض رجال الدين المعينين في المملكة مرة اخرى ان مرجعيتها القصر الملكي وتصريحات مسؤولين سعوديين في واشنطن والذين تصدروا السياسة الخارجية السعودية خلال نصف قرن. فبينما يطعن هؤلاء بالوهابية المتزمتة من على ثغور واشنطن يومياً ليظهروا مدى تطورهم وحكمتهم في كبح جماح المئذنة المتطرفة نرى هذه المئذنة البدائية العمياء لا تزال تنبش مراجعها ودررها السنية علها تجد لها موقعاً من الاعراب في عالم عربي واسلامي قد تجاوزها هي وقصرها المغيب عن صنع الحدث.

لقد انتهى زمن مئذنة القصر منذ ان افتى رجالها بسطحية الارض وحرموا تعليم البنات وحللوا الاستعانة بالكفار والصلح مع اليهود. انتهت مئذنة القصر عندما استعبدها امامها المبجل لتحل له ما حرم الله وتحرم على العباد ما أحله. وبعد ان انتهت مهمتها وروضت له شعب الجزيرة ها هو اليوم يطعن بها من الخلف كعادته لأنه يسير دوماً على نهج ماكيافيلي. يسعد القصر اليوم بفتاوى مئذنة القصر والتي تبشر بسقوطها في لحظة يتمنى هو ايضا ان تتصدع منارتها وتسقط كلمتها في الداخل السعودي. اعتبر النظام السعودي ان مهمة الوهابية الرسمية قد انتهت ولكنه لا يريدها ان تصمت كلياً علّه يحتاجها في المستقبل ولكنه يريدها هامشية مجمدة حتى اشعار آخر. ومنذ نهاية التسعينات نراه يربي خليفة للمئذنة السابقة. فبينما كنيسته القديمة تحتضر نجد ان هناك اخرى تنتظر بفارغ الصبر لان يتم تتويجها مئذنة سلطانية جديدة عصرانية حضارية تخاطب العرب على شاشات الفضائيات تحمل شعار الجهاد في كل مكان ما عدا بلاد حدثنا رسولنا ان بها يطلع قرن الشيطان. الكنيسة الجديدة مضطرة أن تحتفظ بأهم معالم الفكر الوهابي السياسي رغم ان عندها من الحرية مجالا اوسع من سابقتها المحتضرة حاليا. تحتفظ الكنيسة الجديدة بطاعة ولي الأمر والعلماء طاعة عمياء فهي لا تجادل في الأمور الجوهرية ولا تطالب ان تنتخب الامة ولي امرها. ربما تناصح قيادتها علنا ولكنها قد تتحفظ على اي عمل جماعي كالمظاهرة والاعتصام خاصة ان احرج مثل هذا العمل ولي الأمر. ليس للكنيسة الجديدة موقف محدد علني من زلات ولي الامر خاصة حلفه الشيطاني مع الولايات المتحدة ومناصرته للحملات العسكرية الصهيونية وتبذيره للاموال على صفقات اسلحة تعرف الكنيسة الجديدة انها لن تستعمل في الدفاع عن اي شبر من ارض الجزيرة بل هي مهمة فقط من أجل توزيع وتقاسم الثروة النفطية بين افراد العائلة الحاكمة السعودية ونظام بيع الاسلحة وشركاته الغربية. المحاصصة هذه هي الحجر الاساسي والركيزة المهمة في حلف القصر السعودي مع الغرب.

ورغم اننا نزف لكم هنا موت المئذنة القديمة وبداية المرحلة القادمة حيث تتوج كنيسة جديدة انطلقت من رحم السابقة الا اننا نعتقد ان للمئذنة السابقة قدرة خارقة على اعادة صياغة نفسها فهي مستعدة لأن تتغير حسب الظروف لتحافظ على استمرارية هيمنة فكرها واعلامها على شعب لم يسمح له مطلقا ان يطلع على تحولات الفكر الاسلامي فعزل هذا الشعب عن مخاضات فكرية وفقهية بالفكر الواحد خاصة في المدارس والمعاهد والجامعات. وان سمح له بالاطلاع على التعددية الاسلامية مذهبية كانت او فكرية فيأتي هذا من باب التعرف على «الانحراف» و«البدعة» و«الضلالة» حتى يتسنى للجيل القادم ان يدحضها ويفندها. تحارب الكنيسة القديمة كل الاتجاهات الاسلامية الفكرية خاصة تلك التي تمكن من النهوض بالنفس والفكر والمجتمع ولكنها كانت حربا خاسرة خسرتها الوهابية لانها كانت تسبح ضد التيار وضد الفكر. اعتاشت هذه الوهابية المتمثلة بمئذنة السلطان على الاقصاء وشيطنة الآخر المسلم السني اولا والشيعي ثانيا فبينما كانت في الماضي تلعن هؤلاء «وانحرافاتهم» اليوم ابناء الوهابية ذاتها يلعنونها. لن تسقط الوهابية على يد القصر فقط ولن تسقط على يد ما يحلو لها ان تسميه بالرافضة ولكنها ستسقط على يد ابنائها الذين ربتهم وعلمتهم الرماية ولما اشتد ساعدهم رموها. لن تنتهي المئذنة السلطانية تماما ولكنها ستندحر في عقر دارها ولن تجد لها سوى صحارى الجزيرة ومناطقها النائية تماما كما حصل لفئات خرجت عن اجماع الامة في السابق ولجأت الى اطراف العالم الاسلامي. ستهاجر هي الى هذه الاطراف بعد ان يرحل القصر الى منتجعات الغرب متسلحا بحساباته ذات الارقام السرية في بنوك سويسرا. ستعترض المئذنة السلطانية لانها لا تقبل بالرحلات العلنية المكوكية الى بلاد الكفر فما بالك بهجرة دائمة لا عودة بعدها! ستنبش ملفاتها البالية ولكنها لن تجد نصا يحلل لها نوما هادئا بين ظهراني المشركين. سيسدل الستار عن حلف شيطاني بين مئذنة وقصر ولن يكون ذلك نتيجة دبابات امريكية تدك معاقلها لأن هذه الدبابات هي حليفة مخلصة للمئذنة والقصر معا.

تعتمد الولايات المتحدة على مئذنة القصر والتي لم تتردد في الماضي عن اعلان الجهاد في سبيل امريكا في مناطق معروفة وها هي اليوم تحرم المناصرة بالمال والكلمة لمن يدفع دمه يوميا من أجل الدفاع عن ارضه.

دعوات ايمن الظواهري لانجاز مشروع حلف المستضعفين يجب ان تؤخذ على محمل الجد من قبل حزب الله خط الدفاع اللبناني الاول. فكما اندست المئذنة السلطانية في صفوف المجاهدين في افغانستان وكانت ستارا للمتعاونين مع النظام السعودي من صحافيين ومقاتلين ورجال اغاثة سيحاول هؤلاء ان يجدوا لهم حظيرة صغيرة يبثون سمومهم ويشتتون جهد المقاومين في جدل طائفي عقيم خاصة في مرحلة حرجة كالتي يمر بها لبنان اليوم. بعد ان اندس مناصرو النظام السعودي في صفوف الجهاد الافغاني واطلقوا لحاهم اكتشف الجميع انهم الساعد الأيمن للمخابرات السعودية الامريكية تحت امرة زعيمهم في واشنطن والذي ورث هذا الدور مع أواصر القربى من جهة الام والاب معا.

لن يستطيع القصر السعودي سعودة المقاومة في لبنان مهما صدر من فائض نفطي سيجد طريقه الى جيوب كثيرة على الساحة اللبنانية. كذلك لن تستطيع الكنائس القديمة او الجديدة السعودية ان تختطف هذه المقاومة مهما تبرقعت ببراقع مختلفة وان طولت لحاها او قصرتها. ليس فقط حزب الله من سيقف في وجهها بل هو طيف كبير من عرب ما بعد النكبة والنكسة. هذا العربي بدأ ينضج ويعتلي المنابر ستجده سياسيا محنكا وعالما وطبيبا وكاتبا. يرهب هذا المارد الجديد عدوه ليس بلحية مطلية بصباغ اسود وانما بايمانه بقضيته. يرهب عدوه ليس برقصة فولكلورية بل برقصة موت تسبقها زفات واهازيج تبدد ذلك الخط الفاصل بين الحياة والموت. سيجمع هذا المارد بين دروس يتعلمها من مذبحة الحسين ودروس اخرى من محنة ابن حنبل وسيضيف عليها تقنية عالية وتكنولوجية غربية. لهذا المارد وجوه متعددة وملامح مختلفة ولكن له قضية واحدة. يرطن بلغات عدة ويهدد بلهجات مختلفة. له هويات كثيرة لكنه يختار واحدة فقط، هي هوية من يرفض السياسي والديني الذي يركع للصهيونية وحلفائها من العرب والغرب. المارد الجديد قد خرج من قمقمه ولن يعود قبل ان يحقق اهدافه. انه الانسان العربي الجديد انسان ما بعد الحداثة الذي خصخص الدين وفهمه وتجاوز ديناصورات المئذنة والقصر المنقرضة لانه تسلح بالقدرة على التواصل مع المصدر دون وساطة المرجعيات البائدة. تجاوز ماردنا هذا العنعنة وقفز الى النص مباشرة. ستجدونه في كل مكان وعند كل طائفة وفي ثنايا كل مذهب. ستجدونه في حي التفاح وبئر العبد. وستجدونه في احياء الفقراء والاغنياء ستجدونه على مقاعد الجامعات في الغرب والشرق. وسيكون رجل القرن الجديد رجلاً متعدد الهويات ولكنه صاحب قضية واحدة.

* كاتبة واكاديمية من الجزيرة العربية

القدس العربي

يومية سياسية مستقلة

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:

الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر: مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير: عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو

هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ

فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208

مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)

مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)

مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.

هاتف/فاكس: 5066089 (9626)

مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England

Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637

email: ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet:* ***www.alquds.co.uk***

Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).

Tel/Fax: (202) 3901523

Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco

Tel/Fax: (212 37) 770594

Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.

Tel/Fax: (9626) 5066089

Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi

daily Independent News Paper

Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD

Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.

Editor In Chief

ABDEL BARRI ATWAN